

Heroic act from Hobeika but mismanagement by Bachir

من العمليات البطولية الخارقة لجهاز الأمن بقيادة إيلي حبيقة: إسترداد الغرفة الفرنسية برويها القائد مارون مشعلاني عام ١٩٨١ بعد سقوط الغرفة الفرنسية التي تعلو ٢٥٤٠ متراً عن سطح البحر وتضييق الخناق على مدينة رحلة التي كانت تتعرض للهجمات المتلاحقة من جنود الوحدات الخاصة السورية كان لا بدّ من إعادة السيطرة على هذا الموقع الإستراتيجي. طلب من "وحدة مكافحة الإرهاب بقيادة" مارون مشعلاني" التابعة لجهاز الأمن بقيادة "إيلي حبيقة" القيام بهذه المهمة ()

لإدارة معركة رحلة عن كثب، حولت قيادة القوات اللبنانية فندق "المزار" في عيون السيمان إلى مقرّ رئيسي أدار منه بشير الجميل شخصياً العمليات العسكرية، حاول مع إيلي حبيقة إيجاد طرق تموين بمنأى عن مرمى الطلاقات الصادرة عن "الغرفة الفرنسية"- التي أصبح إسمها "ألفا برافو". لكن الفرضيات سقطت الواحدة تلو الأخرى، بسبب هذا الرصد الذي لا يمكن تقاديه.

بعد فترة طويلة من التفكير، نظر حبيقة إلى بشير وقال له: "لقد إنقضت ساعتان ونحن نحاول عبثاً بإيجاد بديل. برأيي لا يوجد إلا خيار واحد لإعادة تموين رحلة. يجب أن نعيد السيطرة على "ألفا برافو". تحت نظرة بشير المذهلة، تابع حبيقة: "أعرف أن هذا يbedo ضرباً من الجنون، وإمكانية النجاح ضئيلة جداً، نظراً إلى الوضع العام، ولكن علينا القيام بمحاولة إخترقأخيرة، وإلا شبابنا في رحلة سيكونون في وضع خطير. يجب أن نتفقد العملية فرقة من النخبة، ورجال "مارون" مدربون على هذا النوع من الأوضاع. سأتصل به وأستمزجه رأيه". بشير الذي لا يزال يذكر عملية صليما والتي تفّذت قبل عدة سنوات وافق على الفكرة. تناول "حبيقة" جهازه وإتصل بي وحدّ موعداً في مركز الكرنتينا عند الظهر.

ما أن وصلت إلى الكرنتينا حتى توجّهت إلى مكتب "حبيقة"، بعد مصافحة حارّة، قال لي: "يا مارون، الوضع في رحلة صعب وطرقات الاتصال أصبحت مستحيلة السلوك منذ سقوط "ألفا برافو". ما رأيك بأن نتفقد عملية خاطفة لاستعادة الموقع وفتح الطريق على المؤمن؟ لدينا مشكلة واحدة: الطقس رديء جداً. عاصفة قوية تحتاج المنطقة وفق الأرصاد الجوية، ويبدو أن الطقس لن يستقر في المدى القريب". أخذت الكلام وأجبته: "أحتاج إلى بعض ساعات لتحضير كل شيء. سأُخطركم ما أن أصبح جاهزاً. نلتقي غداً في المزار". (....)

كنت أعرف أنه يتوجّب علينا أن نراهن على ثلاثة عوامل لإنجاح عملية كهذه: لياقة بدنية كاملة، تجهيزات مناسبة، وأخيراً الإلادة من عنصر المفاجأة.(...)

توجّهت إلى مقرّ "غالما زورو" الرئيسي، لأحدّد مع "بيار" و "آبو" المسار الذي علينا سلوكه من عيون السيمان حتى يبلغ "ألفا برافو". لاحظنا من خلال الخرائط الطوبوغرافية عدّة مسارات ممكنة، تأخذ بعين الاعتبار عدّة عوامل تسمح لنا بأن نؤخر الإشتباك إلى حدّه الأقصى وبالتالي الإلادة من عنصر المفاجأة.(...) إبحارنا سيتمّ باستخدام البوصلة. ركّزنا "آبو" وأنا على الخرائط مزوّدين بقوائم الزوايا وأدوات قياس الزوايا والآلات الحاسبة ورحنا نحسب إحداثيات الذهاب والإياب. أقلّ خطأ في الملاحة من شأنه أن يُحيد بفرقة التدخل السريع الأولى عن خطّها الأساسي ويحكم عليها فوراً بالموت المحتم. (...)

الساعة الثالثة فجراً غادرت الفرقة مركز القيادة في الكرنتينا بإتجاه عيون السيمان تحت وايل من الأمطار تحولت على طول المسافة إلى ثلوج كثيفة، والحرارة تهبط كلما زدنا ارتفاعاً، كانت الساعة الرابعة والرابع فجراً، عندما بلغنا مقصدنا. قفز الرجال من الحافتين وحملوا عتادهم إلى الداخل، فيما توجهت إلى البهو. هيئة الأركان موجودة بكاملها. أقيمت النحية على "بشير" و"إيلي حبيقة" وتوجهنا معه نحو قاعة الاجتماعات، حيث كان عدّة ضباط متلقين حول خارطة مفروضة فوق طاولة كبيرة. أحذني "حبيقة" جانباً وقال لي: "من الحكمة تأجيل العملية، حتى تهدأ العاصفة. فالريح شديدة والتلخ يتتساقط بكثافة، والبرد قارس والرؤية لا تتعذر المتر الواحد. العملية ليست ملحّة ويمكن تأجيلها لبعض ساعات". نظرت إليه وأجبته: "من غير الوارد تأخير العملية أو تأجيلها. ستنطلق عند طلوع النهار. على أي حال سأوجز المهمة للرجال على الفور.

توجه الرجال نحو مصعد التزلج الذي نقلهم إلى قمة "المزار"، ومن هناك تابعوا سيراً لمسافة تتراوح بين ١٠ و ١٢ كيلومتراً ولفترة حوالي السبع ساعات. تساقط الثلوج كان يقلل من الرؤية التي كانت ضعيفة جداً في الأساس، التقدم يتواصل. نقضم السننمتارات بجهد كبير. لدى إتفاقنا حول هضبة. رأيت ثلاث تلال متراصفة. دون جهد عرفت خيال "ألفا برافو". الهدف على بعد ٨٠٠ مترأ.

قلت لرجالٍ: "سننتقل بوحدات قوامها ستة أشخاص. سأتقدم مع "جميل"، "إيلي"، "حناً"، "فؤاد" و "يعقوب" باتجاه هذا المنحدر. وهكذا سنكون على بعد حوالي ٥٠٠ متر من "ألفا برافو". ستعطوننا في حال تعرضاً لأي مأذق. عندما نتحرّك، تأخذون مكاننا وهكذا دوالياًك". (...)

اقترينا أكثر، لم يعد أمامنا سوى عدة أمتار وإذا بوابيل من الرصاص ينهمر علينا، بصورة غرازية غطسنا أعمق ما يمكن في الثلج فيما كانت كثافة النيران ووتيرتها تزدادان. إلى دوي الدوشكا والكلاشينكوف أضيف صفير مدافع الهاون من عيار ٦٠ و ٨٢ ملم، تحول الثلج الذي كان لسبع ساعات عدونا اللدود تحول فجأة إلى حلif ثمين، كان يمتص ويُضعف إصطدام تلك القذائف القاتلة. أصدرت أوامر ي إلى "فؤاد"، "فيليب" و "سهيل" قنّاصي الفرقة التي بقيت في الخلف فتح نيران كثيفة، إنقضى ٢٥ مقاتلاً على الهدف، حارس (العدو) بدا فجأة، لم يتثن له سوى إطلاق رشق واحد قبل أن يُقتل. كل شيء يسرير بسرعة الآن.

خط رجالي فتح ناراً جهنمية. الرصاصات تصيب الحاجز، تخترق صفية المستوعب المعدنية التي كان السوريون وحلفاؤهم يقيمون فيه. مئات الرصاصات أُطلقت. طلقات RPG مسددة جيداً دمرت تحصيناً كان رشاش دوشكا يطلق النار علينا، قنّاصونا أصابوا خرّانين للوقود فأشتعلوا وتسبّبوا بسلسلة إنفجارات. إجتننا الأمتار الأخيرة التي تفصلنا عن "ألفا بير افو" الذي هرب منه قسم من قاطنيه.

عندما وصلت إلى المستوّب الأوّل، شققت الباب ورميّت قنبلة يدوية. لم ينج أحد. فتحت فرقتي ممراً بين المدارس مطلقة النار على كلّ ما زال يتحرّك، وبعد بضع دقائق، أوقفنا إطلاق النار: لقد سقط "ألفا برايفو" للتو.

تناولت جهاز اللاسلكي وناديت حبيقة: " هنا M2. أبلغ شارلي (بشير) أن "ألفا برافو" أصبح بين أيدينا. أحتج إلى قصف مدفعي على شعاع ٥٠٠ متر حسب الإحداثيات التالية: ليما، تانغو، زولو. لقد هرب المحتلون، إنهم لا زالوا في الأرجاء. أطلقوا قذائف ١٥٥ ملم، أكير أطلقوا قذائف ١٥٥ ملم".

بحسب تقديرى يلزم أقل من دقائقين لنسمع الإنجارات الأولى. لقد مررت بضع دقائق ولم تسقط أي فدحية. كررت رسالتي عبر الجهاز، فرد على "حقيقة": M2 هنا HK.

والعودة، لأن الإسرائيليين سيرسلون غداً طيرانهم لتصف هذا الموقع". إنطلقتنا بالإتجاه المعاكس، نحو "المزار". بعد خمس ساعات وصلنا إلى مرأى من مصعد التزلج.

إنجاز كبير حقّه هؤلاء الرجال الذين تحذّوا ظروفاً مناخية رهيبة، ودفعوا بحدودهم النفسيّة والجسديّة إلى أقصاها، وإنصروا خلافاً لكل التوقعات، فباتوا يشكّلون أسطورة.

(بتصرّف من فصل إسترداد الغرفة الفرنسيّة وهو مكوّن من ١٧ صفحة في كتاب "صليب الحرب" للرفيق مارون مشعلاني، منقول بتصرّف عن صفحة صعود أبو شبل).